

سورة المنافقون

مدنية، وهي إحدى عشرة آية [نزلت بعد الحج]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

أرادوا بقولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة واطأت فيها قلوبهم الستهم^(١). فقال الله - عز وجل -: قالوا ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم: إنك لرسول الله، والله يشهد أنهم لكاذبون في قولهم: نشهد؛ وادعائهم فيه المواطأة. أو إنهم لكاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة؛ فهم كاذبون في تسميته شهادة. أو أراد: والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه. فإن قلت: أي نائدة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؟ قلت: لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم الكاذبون، لكان يوهم أن قولهم هذا كذب؛ فوسط بينهما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؟ ليميط هذا الإيهام ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يجوز أن يراد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد، يقول الرجل: أشهد وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى. وبه استشهاد

(١) قال محمود: «إنما كذبهم لأنهم ادعوا أن شهادتهم بالسنتهم تواطؤ لقلوبهم... إلخ» قال أحمد: ومثل هذا من نمطه الملبس قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُزَيِّنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾ وقد كان المطابق لقوله: ﴿وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾ أن يقال لهم: لا تقولوا آمنا، ولكنه لما كان موهماً للنهي عن قول الإيمان عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه بتغاه الفتنة. ألا تراهم كيف غلطوا أنفسهم متغابين، ولبسوا على ضعفهم متجاهلين عندما أنزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

أبو حنيفة رحمه الله على أن «أشهد» يمين^(١). ويجوز أن يكون وصفًا للمنافقين في استجنانهم بالإيمان. وقرأ الحسن البصري: إيمانهم، أي: ما أظهره من الإيمان بالسنتهم. وبعضه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصددهم الناس عن سبيل الله. وفي ﴿سَاءَ﴾ معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا بسبب ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان، أي: ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا ﴿فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فجسروا على كل عزيمة. فإن قلت: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم^(٢)، فما معنى قوله: ﴿ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: آمنوا، أي: نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا: ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًا فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات. ونحوه قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَ لِلَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أي: وظهر كفرهم بعد أن أسلموا. ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تَمْنُنْزِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بِمَدِّ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] والثاني آمنوا: أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤] والثالث: أن يراد أهل الردة منهم. وقرئ: «فطع

(١) قال محمود: «استدل لأبي حنيفة على أن قول القائل «أشهد» يمين بقوله: (اتخذوا إيمانهم جنة) ولم يصدر منهم إلا قولهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فجعله يمينًا قال أحمد: أحد القولين عند مالك - رحمه الله - إذا قال أشهد وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين وليس بالمشهور. أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال، وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره، فإن قوله: ﴿اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ غايته أن ما ذكره يسمى يمينًا، وليس الخلاف في تسميته يمينًا وإنما الخلاف هل يكون يمينًا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا؟ وليس كل ما يسمى حلفًا أو قسمًا يوجب حكمًا، ألا ترى أنه لو قال: «أحلف» ولم يقل «بالله» ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به. وإن كان حلفًا لغة باتفاق، لأنه فعل مشتق منه.

(٢) قال محمود: «المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم... إلخ» قال أحمد: ويحتمل وجهًا رابعًا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة، لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود، ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة، ولعل في المنافقين يهودًا، وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من الفريقين: اليهود وعبدة الأوثان من العرب، إلى نزول قوله: ﴿لَرَّ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ كيف حكى الله تعالى عن الفريقين ما كانوا يقولونه. والبينة: النبي ﷺ.

على قلوبهم»، وقرأ زيد بن علي: «فطبع الله».

❖ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاعْلَوْهُمْ فَلَهمُ اللَّهُ أَنْ يَوْفَكُونُ ❶❗

كان عبد الله بن أبي رجلاً جسيماً صبيحاً، فصيحاً، ذلق اللسان^(١) وقوم من المنافقين في مثل صفته، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن^(٢)؛ فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَدَةٌ﴾؟ قلت: شبهوا في استنادهم. وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير. بالخشب المسندة إلى الحائط؛ ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً فارغاً غير ٢٢٢/٢ ب منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع. ويجوز أن يراد بالخشب المسندة: الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان؛ شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم؛ والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لرسول الله، أو لكل من يخاطب. وقرئ: «يُسمع» على البناء للمفعول، وموضع ﴿كَأَنْهُمْ خُشْبٌ﴾ رفع على: هم كأنهم خشب. أو هو كلام مستأنف لا محل له. وقرئ: «خشب» جمع خشبة، كبذنة وبدن. وخشب، كشمرة وثمر. وخشب، كمدره ومدر، وهي في قراءة ابن عباس. وعن اليزيدي أنه قال في ﴿خُشْبٌ﴾: جمع خشباء، والخشباء: الخشبة التي دعر جوفها^(٣)؛ شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثاني مفعولي يحسبون^(٤)، أي: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم، لجبنهم واهلهم وما في قلوبهم من الرعب، إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ذالة، ظنوه إيقاعاً بهم. وقيل: كانوا

(١) قوله: «فصيحاً ذلق اللسان» أي طلق اللسان، كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «كانوا يجالسون رسول الله ﷺ ويستندون في المجلس ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الألسن... إلخ» قال أحمد: وفيما قال اليزيدي نظر من حيث مقتضى العربية، وإلا فهو متمكن المعنى، وذلك أنها قرئت بضم الشين وسكونها قراءة تين مستفيضتين، ففيه دليل أن أصلها الضم، والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفاً، وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء؛ لأن قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمز، ولا يطرأ الضم، فلو كان كما قال لم تضم شينها، والله تعالى أعلم.

(٣) قوله: «التي دعر جوفها» أي فسد. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قال محمود: «المفعول الثاني (عليهم) تقديره: واقعة عليهم... إلخ» قال أحمد: وغلا المتنبي في المعنى فقال [من البسيط]:

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً.

على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. ومنه أخذ الأخطل [من الكامل]:

مَا زِلْتُ تَخْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَرَجَالًا^(١)

يوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويبدأ ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ﴾ أي الكاملون في العداوة: لأن أعدى الأعداء العدو المداجي^(٢)، الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ﴿فَأَحْذَرُكُمْ﴾ ولا تغتبر بظاهريهم. ويجوز أن يكون ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ﴾ المفعول الثاني، كما لو طرحت الضمير. فإن قلت: فحقه أن يقال: هي العدو. قلت: منظور فيه إلى الخبر، كما ذكر في ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] وأن يقدر مضاف محذوف على: يحسبون كل أهل صيحة ﴿تَكَلَّهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم. أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ﴿أَنْ يُؤَكَّدُوا﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجباً من جهلهم^(٣) وضلالتهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْنَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾

﴿لَوَّا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً. وقرئ بالتخفيف والتشديد للكثير.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الاستغفار وعدمه، لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم. أو لأن الله لا يغفر لهم. وقرئ: «استغفرت» على حذف حرف الاستفهام؛ لأن «أم» المعادلة تدل عليه. وقرأ أبو جعفر «استغفرت»، إشباعاً لهزمة الاستفهام للإظهار والبيان، لا قلباً لهزمة الوصل ألفاً، كما في: السحر، وآله.

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ۚ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ ۚ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ ۚ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾

(١) للأخطل، يقول: لا زلت يا جرير نظن كل شيء بعدهم، أي: بعد خذلان قومك. ويجوز أن بعدهم بمعنى غيرهم، خيلاً تكر: أي ترجع بسرعة عليهم ورجالاً لكثرة ما قام بقلبك من الخوف.
(٢) قوله: «العدو المداجي الذي يكاشرك» أي المداري. والكشر: التسم تبدو منه الأسنان. والدوي - مقصور - المرض، تقول: دوى الرجل - بالكسر: مرض ودوى صدره أيضاً: ضغن، ودوي الرياح: حفيفها، كذا في الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «تعجباً من جهلهم» لعله تعجب، بل لعله: تعجب. (ع)

روي: أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم: ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهنني حليف لعبد الله بن أبي، واقتتلا، فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين: وسنان: يا للأنصار؛ فأعان جهجاها جعّال من فقراء المهاجرين رلطم سنانا. فقال عبد الله لجعّال. وأنت هناك، وقال: ما صحبنا محمداً إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، عني بالأعز: نفسه، وبالأذل: رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؛ أما والله لو أمسكتهم عن جعّال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفصوا من حول محمد، فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث، فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عزٍّ من الرحمن وقوة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب؛ فأخبر زيد رسول الله فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله، فقال: إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب. قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري. فأمر به أنصارياً فقال: فكيف إذا تحدّث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه؛ وقال - عليه الصلاة والسلام - لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيدا لكاذب، وهو قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] فقال الحاضرون: يا رسول الله: شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم. وروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه؛ قال: لا؛ قال: فلعله أخطأ سمعك؛ قال: لا؛ قال: فلعله شبه عليك؛ قال: لا. فلما نزلت: لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال: وقت أذنك يا غلام، إنّ الله قد صدّقك وكذب المنافقين (١٦٠٦). ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة: اعترضه ابنه حباب، وهو عبد الله بن

١٦٠٦ - قال الحافظ:

(١) هكذا ذكره الواقدي في المغازي بغير إسناد وعزاه إلى الشعبي والواحدي ولأصحاب السير، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق - فذكر الغزوة بطولها والقصة المذكورة باختلاف يسير. وكذا أخرجه الطبري من طريقه وأصل القصة في الصحيحين من طريق أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول - الحديث - وأونه عندهما أيضاً من طريق عمرو بن دينار عن جابر قال «كنا في غزوة بني المصطلق فتبع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار» ورواه الترمذي والنسائي والحاكم من طريق أبي سعد الأودي حدثنا زيد بن أرقم قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبندر الماء وكان الأعراب يسبقونا فسبق أعرابي. فملأ الحوض» فذكر القصة بطولها. وفي سياقها اختلاف. انتهى

عبد الله غير رسول الله اسمه، وقال له إِنَّ حَبَابًا اسم شيطان. وكان مخلصًا وقال: وراءك، والله؛ لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته (١٦٠٧). وروي أنه قال له: لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك، فقال: ويحك، أفاعل أنت؟ قال: نعم. فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا»؛ فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوئ رأسه ثم قال: أمرتوني / ٢ / ٢٢٣ أن أومن فأمنت، وأمرتوني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد، فنزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥] ولم يلبث إلا أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات (١٦٠٨).

١٦٠٧ - قال الحافظ: هكذا. ذكره الثعلبي موصولاً بالذي قبله وروى الزبيدي من طريق عمرو بن دينار عن جابر أصل القصة وقال بعد عمر: دعني أضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يتحدث الناس أن «محمدًا» يقتل أصحابه قال: وقال غير عمر قال له ابنه عبدالله بن عبد الله «والله لا تنفلت حتى تقول إنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل وأصل حديث جابر في الصحيح. انتهى

١٦٠٨ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٥/٤):

المصنف رحمه الله فرق هذا الحديث في طول السورة وجمعه؛ لأنه حديث واحد، وذكره الثعلبي بتمامه، وعزاه لأصحاب السير، وكذلك الواحدي في أسباب النزول. أ. هـ. والحديث أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣) رقم (٨٢١)، وابن هشام في سيرته (٢٨٥/٣ - ٢٨٦) رقم (١٤٧٢) والطبري في تفسيره (١٠٨/١٢) رقم (٣٤١٧٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٤٦/٤ - ٥٢ - ٥٣) كلهم من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم ابن عمرو بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له... فذكره. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٥/٦) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وزوي الحديث مختصرًا في الصحيحين وغيرهما:

فأخرجه البخاري (٦٣٧/٩): كتاب التفسير: سورة المنافقين: باب قوله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، حديث (٤٩٠٠) وأطرافه في (٤٩٠١ - ٤٩٠٢ - ٤٩٠٣)، ومسلم (١٣٣/٩ - النووي): كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث (٢٧٧٢/١) والترمذي (٤١٥/٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٢)، والنسائي في التفسير (٤٣٦/٢ - ٤٣٧) كلهم وأحمد (٣٧٣/٤) والطبراني (١٨٩/٥) رقم (٥٠٥٠ - ٥٠٥١) من طريق عمرو بن عبدالله أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن أرقم به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». أ. هـ. وله طريق آخر: أخرجه الترمذي (٤١٥/٥ - ٤١٦): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٣) من طريق السدي عن أبي سعيد الأسدي عن زيد بن أرقم به.

وقال: هذا حديث حسن صحيح. أ. هـ. وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله: أخرجه البخاري (٦٤٨/٩): كتاب التفسير: سورة المنافقين: باب قوله تعالى: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة =

﴿يَنْفَقُوا﴾ يتفرقوا. وقرئ: «ينفقوا» من أنفق القوم إذا فنيت أزواجه. وحقيقته: حان لهم أن ينفقوا مزاودهم ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويده الأرزاق والقسم، وهو رزقهم منها؛ وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم، ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك فيهدون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ: «ليخرجن الأعز منها الأذل» بفتح الياء. وليخرجن، على البناء للمفعول. قرأ الحسن وابن أبي عبيدة: لنخرجن، بالنون ونسب الأعز والأذل. ومعناه: خروج الأذل. أو إخراج الأذل. أو مثل الأذل ﴿وَلِلَّهِ أَمِيرَةٌ﴾ الغلبة والقوة، ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين، وهم الأخصاء بذلك، كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات - وكانت في هيئة رثة - ألسنت على الإسلام؟ وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه. وعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - : أن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيهًا؛ قال: ليس بتيه، ولكنه عزة، وتلا هذه الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم ﴿ءَمْوَالُكُمْ﴾ والتصرف فيها، والسعي في تدبير أمرها: والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاعتلال، وابتغاء التناج والتلذذ بها؛ والاستمتاع بمنافعها ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ وسروركم بهم، وشفقتكم عليهم، والقيام بمؤنهم، وتسوية ما يصلحهم من معاشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد،

= ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، حديث (٤٩٠٧)، ومسلم (٣٨٢/٨ - النووي): كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا، حديث (٥٨٤/٦٤).

كلاهما عن طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن جابر به. وله طريق آخر:

أخرجه مسلم (٣٨١/٨ - ٣٨٢ - النووي): كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا، حديث (٥٨٤/٦٣) والترمذي (٤١٧/٥ - ٤١٨): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٥). والنسائي في التفسير (٤٣٧/٢ - ٤٣٨) رقم (٦١٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/٤٦٨) رقم (١٨٠٤١) «البيهقي في السنن الكبرى» (٣٢/٦)، وفي «دلائل النبوة» (٥٣/٤ - ٥٤). كلها من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر به.

قال الحافظ:

ذكره الثعلبي موصولاً بالذي قبله. وأخرجه الطبري من رواية إبراهيم بن الحكم بن أمان عن أبيه عن بشر بن مسلم «أنه قيل لعبدالله بن أبي: يا أبا الحباب: إنه أنزل آي شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكره أخصر منه. انتهى.

وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وإيثاره عليها ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني. وقيل: ذكر الله الصلوات الخمس. وعن الحسن: جميع الفرائض، كأنه قال: عن طاعة الله. وقيل: القرآن. وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٦٩ ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٧٠

﴿يَنْ﴾ في ﴿مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ للتبعض، والمراد: الإنفاق الواجب ﴿وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ من قبل أن يرى دلائل الموت، ويعاين ما ييأس معه من الإمهال، ويضيق به الخناق، ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول، فيتحسر على المنع، وبعض أنامله على فقد ما كان متمكناً منه. عن ابن عباس - رضي الله عنه -: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت، فلا تقبل توبة، ولا ينفع عمل. وعنه: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها. وعنه: أنها نزلت في مانعي الزكاة، والله لو رأى خيراً لما سأل الرجعة، فقبل له: أما تنقي الله، يسأل المؤمنون الكرة؟ قال: نعم، أنا أقرأ عليكم به قرآنا، يعني: أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها، وكذا عن الحسن: ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة. وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾. وقرئ: «أخرتن»، يريد: هلا أخرت موتي ﴿إِلَّا أَجَلٌ قَرِيبٌ﴾ إلى زمان قليل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وقرأ أبي: فاتصدق على الأصل. وقرئ: «وأكن»، عطفاً على محل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن. ومن قرأ: «وأكون» على نصب، فعلى اللفظ. وقرأ عبيد بن عمير: «وأكون»، على «وأنا أكون» عدة منه بالصلاح ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ﴾ نفى للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة. والمعنى: إنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه. وأنه هاجم لا محالة، وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها، من منع واجب وغيره، لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله. وقرئ: «تعملون»؛ بالياء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق» (١٦٠٩).

١٦٠٩ - تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. انتهى